

العام الشامل للضرورة و الامكان الذاتى و الاستعدادى قريباً أو بعيداً .  
و تفاصيل هذه الأمور و بيانها بالبرهان مما يطلب فى كتب أهل الكشف و العرفان ، و  
الله ولى الهداية و الايقان .



### المقالة السابعة

فى قوله سبحانه : ﴿ يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم ﴾

وفيه مسائل :

#### [المسألة الأولى]

#### فى العلم

«العلم» يطلق على معان بعضها من باب الكيف ، و بعضها من باب الاضافة و بعضها  
من مقولة المعلوم .

أما الأول : فهو حالة بها يتميز الأشياء عند العقل .  
و أما الثانى : فهو النسبة التى بين العالم و المعلوم يعبر عنه فى لغة الفرس بـ «دانستن» .  
و قيل : العالمية عبارة من اتحاد الشئ مع مفهوم هذا المشتق ، أى «العالم» و مفهومه  
كسائر المشتقات أمر بسيط يعبر عنه فى الفارسية بـ «دانا» و الذات و النسبة خارجتان عن  
مفهوم المشتق .

و أما الثالث : فهو الصورة الموجودة للشئ المجرد عن المادة تجريداً تاماً أو ناقصاً .  
فالتامة فى التجريد ما يكون مجرداً عن المادة و لواحقها و اضافتها جميعاً إما بحسب  
القطرة أو بسبب تجريد مجرد يجردها ؛ فعلى أى الوجهين يكون معقولا كلياً أو شخصياً ،  
معقولا لغيره أو لنفسه .

و الناقصة فى التجريد ما يكون مجرداً عن المادة فقط دون لواحقها أصلاً ، فيكون  
محسوساً أو عنها و عن بعض لواحقها دون بعض آخر - فيكون متخيلاً - أو عنها و عن  
لواحقها جميعاً دون اضافاتها ، فيكون موهوماً .

و المشهور أنه من باب الكيف و هو خطأ ، بل قد يكون جوهرأ بحسب الماهية و الوجود  
جميعاً - كعلم المجرد بذاته - أو بحسب الماهية دون الوجود - كعلمه بغيره من الطبايع  
الكلية الجوهرية ، فإنها جوهر بحسب الماهية المعلومة الذهنية ، عرض بحسب كونها حالة

علمية شخصية خارجية - وقد يكون مجرد الوجود القائم بذاته غير داخله تحت مقولة أصلاً، وهو علم الواجب لذاته بذاته وجميع ماعداه علماً اجمالياً، فإن ذاته تعالى لكونه في غاية التجرد - لتجرده عن التعلق بغيره، سواء كان ماهية أو أمراً مباناً يكون حاصلًا لذاته حصولاً واجباً بالذات، إذ لا مغايرة لذهناً ولا عيناً، فيكون عاقلاً لذاته، ولما كان ذاته بذاته مبدأ جميع الممكنات فيكون علمه بذاته مبدأ العلم بجميع الممكنات، إذ العلم التام بالعلّة التامة يوجب العلم التام بالمعلول، ولما كان ذاته وعلمه بذاته - وهما العلتان - شيئاً واحداً فتكون ذوات المجعولات و معلوميتها له تعالى شيئاً واحداً.

فتلك الذوات بأنفسها علم و معلوم له تعالى، وهي من حيث كونها شخصاً واحداً له صورة واحدة علمية معلوم له تعالى بعلم واحد متقدم عليها ومقارن بها، ومن حيث كونها أموراً متكثرة متفاصلة يعلمها بعلم تفصيلية بعضها متقدم وبعضها متأخر ولها مراتب: أولها: نفس ذاته تعالى، فإنه علم تفصيلي بذاته وعلم اجمالي بما عداه بمعنى أن نسبتها إليها نسبة صورة الشيء التي بها قوامه وتمامه، ونسبتها إليه نسبة الحكاية إلى المحكى عنه لكونها مظاهر أسمائه، وقد مرت الإشارة أيضاً إلى أن الأعيان الثابتة مظاهر أسمائه المتكثرة، وأسمائه على كثرتها تفصيل مسمى لفظ «الله» ومعناه الكلي، وهو مع كليتها عين ذاته الأحديّة المتشخصة بنفسها، لكونه بحث الوجود القائم بذاته.

و ثانيها: مرتبة «القلم» وهو العالم العقلي المحيط على الجميع احاطة كلية اجمالية. و ثالثها: مرتبة لوح المحفوظ المسمى بـ «أم الكتاب» المشتمل على الصور الكلية على سبيل التفصيل، و عالمها عالم القضاء الالهي الذي جرى عليها القلم إلى يوم القيامة.

ورابعها: مرتبة اللوح المحو والاثبات، وهي مرتبة الصور المثالية للكائنات بأسرها، المنطبعة أو المتعلقة بالنفوس الجزئية الفلكية، المترتبة في مرايا أجرامها الصافية، معينة مقرونة بمخصصاتها الزمانية والمكانية على نحو جزئي

و خامسها: مرتبة الصور الخارجية المادية.

فالواجب يعلم بنفس ذاته جميع هذه المراتب - على كثرتها وتفاصيلها الكلية والجزئية - بعين تلك الصور ومحيط بها على الوجه المقدس عن الزمان والمكان - حتى المرتبة الأخيرة مع تغييرها وتجديدها، فإن الصورة الواقعة وإن كانت في نفسها من حيث كونها مغطاة بأغشية هيولانية محسوسة لامعقولة، إلا أن احاطته تعالى بها من جهة قيواميتها، و

مشاهدته إياها من جهة مشاهدة أسبابها و مقوماتها المؤدية اليها، لا من جهة انفعال و تأثير منها له - تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .  
فالمعلومات الجزئية المتغيرة مع جزئيتها و تغيرها و فسادها معلومة له تعالى على وجه ثابت دائم، مصون عن التغير و الفساد - وهذا مما يحتاج دركه الى لطف قريحة .

### المسألة الثانية

#### في مرجع ضمير الجمع

الضمير لما في السماوات و ما في الأرض، لأن فيهم العقلاء فغلبوا، أو لما دلّ عليهم «من ذا» من الملائكة و الأنبياء و العالمين و الأولياء و الصالحين و الشهداء، أو للمأذونين منهم في الشفاعة خاصة، و يحتمل أن يكون للإنسان أو للحاضرين من أمته ﷺ .

### المسألة الثالثة

#### في أن القبليّة و البعدية المستفادتین من الكلام بأى وجه كانتا؟

قد ذكر المفسرون فيهما وجوهاً :  
منها: أنه يعلم ما بين أيديهم - أى ما كان قبلهم من أمور الدنيا - و ما خلفهم - أى ما كان بعدهم من أمور الآخرة - عن مجاهد و عطاء و السدى .  
و منها: يعلم ما بين أيديهم - يعنى الآخرة، لأنهم يقدمون عليها - و ما خلفهم - يعنى الدنيا، لأنهم يخلقونها وراء ظهورهم - عن الضحاك و السدى .  
و منها: يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الأرض، و ما خلفهم - يريد ما في السموات، - عن ابن عباس رواه عطاء .  
و منها: ما ذكره الرازى في الكبير: يعلم ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم و ما خلفهم - أى ما كان من قبل أن يخلقهم .  
و منها: ما فعلوا من خير و شر و ما يفعلونه بعد ذلك .

و منها: ما ذكره نجم الدين الدايه في تفسيره المسمى بـ«بحر الحقائق»: يعلم - أى الذى يشفع عنده و هو محمد ﷺ، لأنه مأذون فى الشفاعة أصالة كما مرّ تحقيقه - ما بين أيديهم - من أوليات الأمور و مقدّماتهم قبل خلق الخلائق، و هو عالم الأرواح التى خلقها الله قبل الأجساد بألفى عام - و ما خلفهم - من أحوال القيامة و أهوالها و فزع الخلق و



غضب الرب و طلب الشفاعة من الأنبياء و قولهم : «نفسى ، نفسى» و رجوعهم بالاضطرار .  
أقول : و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يكون المراد ممّا بين أيديهم صور المعلومات الجزئية  
الحسيّة أو البديهيّات ، و ما خلفهم صور المعقولات الكلية أو النظريّات ، لتقدّم الأولى و  
تأخّر الثانية بالقياس الى الانسان و عدم حصول الثانية له إلّا بوسيلة سبق الأولى - كما قيل  
«مَن فقد حساً فقد علماً»<sup>١</sup> .

و حاصله أنّه تعالى عالم بجميع الأشياء - جزئية كانت أو كلية - و من جملة الشافع و  
المشفوع له ، و الجهة التى بها يستحق الشفعاء للشفاعة ، و المشفوع لهم للاستشفاع -  
دون غيره ، حتى أنّ الشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أنّ لهم من الطاعة ما يستحقون هذه الدرجة  
الرفيعة و المنزلة العظيمة عند الله سبحانه ، و لا يعلمون أنّه سبحانه هل صيرهم مأذونين فى  
الشفاعة أم لا؟ بل يستحقون المقت و الزجر ، فإن العزّة لله جميعاً ، و الممكن بحسب ذاته  
متخمّر من الكدورة و الظلمة المنشأة عن ماهية الامكانية ، و إنّما المنور لها و المخرج  
إياها من العدم و الابهام الى الوجود و التحصيل ، و من القصور و النقصان الى التمام و  
التكميل هو الحق تعالى القيوم بذاته ، الذى يعطى نور الوجود لمّا يشاء ، كلّ بحسبه و  
يصطفى من الملائكة و البشر رسلاً و أنبياء و يكسيهم كسوة العزّة و البهاء و القدرة و الغنى ،  
و منزلة الهداية و الشفاعة فى الأولى و العقبى .

### المقالة الثامنة

فى قوله سبحانه : ﴿و لا يحيطون بشىء من علمه إلّا بما شاء﴾

و فيه اشارات :

#### [الاشارة] الأولى

#### [جميع الموجودات حاضرة عنده تعالى]

قال الرازى فى الكبير<sup>٢</sup> : «إنّ المراد من «العلم» هنا المعلوم كالخلق بمعنى المخلوق ، و  
فى الأدعية : «اللهم اغفر لنا علمك فينا»<sup>٣</sup> أى : معلومك . أو لا ترى أنّه إذا ظهرت آية عظيمة  
قيل : «هذه قدرة الله» أى مقدوره ، و المعنى : أنّ أحداً لا يحيط بمعلومات الله تعالى» .

١ . تفسير ابن عربى ، ج ١ ، ص ٥٦

٢ . تفسير الرازى ، ج ٧ ، ص ١١

٣ . فتح البارى ، ج ١١ ، ص ٤٧٤ ؛ حقائق التأويل ، ص ٩٦ ؛ التبيان ، ج ٢ ، ص ٣٠٩